طـهـــارة الإنـســـــان بيـن الـفـقـــه الـسُـــنـى والـقـــرآن

رضا عبد الرحمن على

خـُـلِـقَ الإنسان فى ثنائية معجزة من نفس وجسد ، والنفس هى القائد والمسيطر على جميع أفعال الجسد لأن النفس هى التى تأمر الجسد بالإلهام أن يفعل الخير أو الشر أن يقول الحق أو الباطل أن يؤمن بالله وحده بلا شريك أو يتخذ مع الله إلها آخر ، فالنفس تُسَيِّـرُ الجسد فى اختبار الدنيا حتى تنفصل عنه بالموت ، وخلال فترة الاختبار الدنيوى مطلوب من كل إنسان أن يُطَهّـرَ نفسه وجسده ، ولذلك فإن الطهارة على قسمين : الأول:ــ (طهارة حسية) وهى طهارة الجسد بالماء كما فى الوضوء و الغـُسل ، الثانى:ــ (طهارة معنوية) وهى نقاء العقيدة وعبادة الله وحده بلا شريك وتزكية النفس والسمو الخـُلقى ، ولكن الجسد والنفس يعيشان معا (كمُـتَّبَع وهى النفس ، ومُـتَّبِـع وهو الجسد) ويقع الجسد أسيرا لإلهام النفس البشرية مع بداية خلق الإنسان وتحديدا مع سن التكليف ، وانتهاء بالموت ورجوع النفس لعالم البرزخ ، ورجوع الجسد للأرض ليتحلل ويتحول إلى تراب وهو أصل كل البشر ، وهنا تتجلى أهمية النفس وأفضليتها على الجسد ومسئوليتها عنه ، وبالتالى فإن طهارة النفس أهم وأعم من طهارة الجسد ، وليس معنى هذا أن نهمل طهارة الجسد ، ولكن من وجهة نظرى أرى أن معظم المسلمين وقعوا فى خطيئة تقديس الجسد والإفراط فى الحديث عن طهارته ونظافته وهذا ما وضح جليا فى صفحات الفقه السنى ، فعلى الرغم أن الجسد فى نهاية الأمر يتحلل ويتعفن ويتحول إلى تراب ، إلا أن معظم المسلمين اتخذوا طريق التدين الشكلى المظهرى الذى يعتمد على المنظر العام للإنسان (اللحية ، والبنيان ، اللباس) متجاهلين تشريعات القرآن التى تحدثت عن الطهارة حيث جاءت فى معظمها تتحدث عن طهارة العقيدة وطهارة النفس ، وهذا هو موضوعنا اليوم:ــ

١ــ الـطـهـــارة فـى الـفـقـــه الـسـنـــى

ــ الفقه السُـنى فى حديثه عن الطهارة يركز على الجسد فحسب ، وفى كتب الفقه التى يدرسها طلاب الأزهر حتى اللحظة فصل كامل عن الطهارة (طهارة الجسد) دون أى كلام أو إشارة عن طهارة النفس ، ورغم هذا الاهتمام بطهارة الجسد ، والمياه التى يجوز بها التطهير نقرأ حديثا فى منتهى السخرية يتهمون فيه خاتم النبيين أنه أجاز استعمال الماء الذى تُلقى فيه الحِيَـض ولحوم الكلاب والنتن وقال عنه أن الماء طهور لا ينجسه شىء فى حديث رواه أحمد وغيره إسناده صحيح ج١ إرواء/١٤ الحديث يقولون فيه حسب زعمهم :(عن أبى سعيد قال: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة . وهى بئر يُلقى فيها الحِيَـضُ ولحوم الكلاب والنتن ــ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "الماء طهور لا ينجسه شىء" ، وبالغوا فى كتابة أحاديث عن عائشة تُعلم الناس وتشرح لهم كيفية الاغتسال وكيف كان يغتسل الرسول عليه السلام لدرجة أنهم ألّفوا أحاديثا دخلوا فيها غرفة نوم خاتم النبيين ليبينوا للناس كيف كان يغتسل مع آل بيته وكل هذا موجود فى البخارى ، وتفوق وضاع الحديث على أنفسهم حين كذبوا على الله ورسوله بهذا الحديث الذى يدعون فيه أن النبى عليه السلام "أمر قيس بن عاصم أن يغتسل حين أسلم" رواه أبو داود ج١ إرواء/١٢٨ بإسناد صحيح ، "وأمره ثمامة بن أثال أن يغتسل" رواه البخارى ، وهو واجب عند أحمد ومالك ، ومستحب لا يجب عند الشافعى وأبى حنيفة لأنه أسلم خلق كثير ولم يأمرهم النبى عليه السلام بالاغتسال" وأطلقوا على هذا غسل الكافر.

وهذا ما اعتدنا عليه من تناقض الفقه السنُـى فى الكتاب الواحد بل فى الصفحة الواحدة.

٢ــ تـدبـر مـعـنـى الـطـهـــارة فـى الـقـــرآن الـكـــريـم

ــ بتتبع موضوع الطهارة فى القرآن الكريم سنجد العكس تماما ، فمعظم الآيات القرآنية التى تناولت موضوع الطهارة تتحدث عن طهارة النفس وطهارة العقيدة لأنها الأهم والأعم ، مع إشارات معدودة ومحددة عن الوضوء والغسل ، لأن طهارة العقيدة هى أساس نجاح الإنسان فى اختبار الدنيا ولا مغفرة أبدا لمن يشرك بالله أو من تكون عقيدته غير طاهرة نقية خالصة لله جل وعلا ، بينما ربنا جل وعلا يبيح للإنسان وقت الضرورة التيمم إذا عـزّ الماء ، وهنا هو الفارق الجوهرى بين طهارة النفس والعقيدة التى لا مفر منها للنجاة فى الآخرة وبين طهارة البدن ، طهارة النفس والعقيدة مسألة مصيرية يتوقف عليها مصير الإنسان فى الآخرة ، أما طهارة الجسد بالماء فبرغم أنها فرض لكن وقت الضرورة لا مانع من التيمم والطهارة الحسية أو النظافة البدنية عملية تشبه إلى حد كبير الغريزة الإنسانية فمسألة الاستحمام والغسل من الجنابة مسألة بديهية ولا تحتاج لعشرات الأحاديث التى ألفها البخارى لكى يدعى أن السيدة عائشة قالت هذا الهراء لكى تُعلم الناس المنهج العلمى للاستحمام.

وندخل إلى حديث القرآن عن موضوع الطهارة

أولا:ــ الطهارة الحسية مثل الوضوء والغسل ، وتحدث القرآن الكريم عن أحدهما بالتفصيل وهو الوضوء لأنه أمر جـدّ بنزول القرآن الكريم ولم يكن معروفا بهذه التفاصيل فاحتاج لتوضيح وشرح وتفصيل يقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) شرح مفصل لأجزاء الوضوء ، ثم فى بقية الآية جاء الحديث عن الطهارة (الغـُسل)من الجنابة دون أى تفصيل لأن الغـُسل من الجنابة لم يكن جديدا ولم يكن غريبا على المجتمع لذلك جاء لتأكيد الفعل (فعل الاغتسال بعد الجنابة) بلا تفصيل كما جاء فى الوضوء (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا) ، ثم يأت تشريع جديد خاص بالتيمم لمن لم يجد ماءً للوضوء أو التطهر بعد الجماع ، تيسيرا على الناس فى المرض أو السفر (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) والآية كاملة تقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)البقرة:٦ ، وتكرر الأمر باعتزال النساء حتى يطهرن (أى يغتسلن من الحيض) ، وفى نهاية الآية إشارة واضحة أن من يلتزم بشرع الله جل وعلا ويعتزل النساء حتى يطهرن فهو من المتطهرين ، وحسب وجهة نظرى أرى أن معنى المتطهرين هنا تفيد الطهارة الحسية والمعنوية معا (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)البقرة:٢٢٢

ثم جاء الأمر مرة واحدة لخاتم النبيين فى إشارة لتطهير الثياب عند قيامه بالدعوة (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)المدثر

ثانيا:ــ الطهارة المعنوية وتعنى الهداية وتزكية النفس والسمو الخـُلقى وطهارة القلب والاعتقاد فى عدم الشرك بالله جل وعلا والالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والانتهاء بنواهيه فى القرآن الكريم ، وطهارة القلب هنا معناها أن يكون قلب

الإنسان سليما وعقيدته خالصة لله وحده لا شريك له يقول تعالى(يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)الشعراء:٨٨ ، ٨٩ ، والقلب السليم هو القلب الطاهر النقى من أى شرك أو كفر وإليكم التفاصيل:ـــ

ـــ أمر الله جل وعلا إبراهيم وإسماعيل أن يُـطـَهِّــرَا البيت الحرام من الأصنام ومعالم الشرك ليكون للعاكفين والمصلين الخاشعين الموحدين (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِى لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)البقرة:١٢٥، ولا يمكن أن نفهم هنا أن معنى (طَهِّرَا) يعنى غسل البيت الحرام بالماء ، (وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِى لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)الحج:٢٦ ، وعن قوم لوط جاء وصف لوط ومن آمن معه بأنهم أطهار لنقاء عقيدتهم ولأنهم لا يمارسون الفحشاء (اللواط) وتميزوا عن قوم لوط جميعا بالسمو الخلقى وتزكية النفس ، لذلك تآمر عليه قومه ليخرجوه من قريته ووصفوه ومن معه بأنهم أناس يتطهرون يقول تعالى (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)الأعراف: ٨٢ ، وتكرر نفس المعنى فى قوله تعالى (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)النمل:٥٦ ، وللتأكيد على أن الطهارة هنا ليس معناها الاستحمام والاغتسال بالماء ، ولكن هى الالتزام بالفضيلة وتزكية النفس والالتزام بالسمو الخلقى بالابتعاد عن الرذيلة يقول تعالى(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِى فِى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)هود:٧٨ ، وهذه الآية فيها وصف قرآنى رائع يفرق بين السلوك السىء الفاحش بأنه نجس أو رجس على العكس تماما من السمو الخلقى وتزكية النفس وهو الأطهر.

ـــ إن اصطفاء الله جل وعلا لبعض خلقه بأن يُطهر قلوبهم من الشرك هو أفضل أنواع الطهارة يقول تعالى ((وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)آل عمران:٤٢ ، (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)آل عمران:٥٥ ، وعلى العكس تماما بعض الناس استحبوا الكفر وأدمنت قلوبهم الشرك ، مهما قالوا كلمة الإيمان بأفواههم فإن الله جل وعلا لا يريد أن يطهر قلوبهم (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)المائدة:٤١، واضح أن طهارة القلب هنا معنوية طهارة من الكفر والشرك بالله جل وعلا الذى يترتب عليه الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

ـــ الصدقة من وسائل تطهير النفس ، لذلك ربنا جل وعلا أمر خاتم النبيين عليه السلام أن يأخذ الصدقات من المسلمين لكى يطهرهم بها (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)التوبة:١٠٣ ، إذن الصدقات وسيلة لتطهير القلوب والأنفس البشرية من الخطايا والسيئات ولا يجوز استغلال هذه الصدقات والمساعدات فى الدعاية الانتخابية بالمساومة واستغلال الموقف ضد الفقراء والمساكين والمحتاجين كما يحدث من الاخوان والسلفيين.

ـــ جاءت آيات قرآنية تبين كيفية مناجاة خاتم النبيين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)المجادلة:١٢ ، والآيات فى سورة الحجرات تبين آداب

الكلام مع رسول الله عليه السلام فى مجلسه ، وآداب النداء عليه وهو فى بيته يقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)الحجرات:٢:٤ ، واستكمالا للدعوة إلى الالتزام بطهارة القلب وإخلاص العقيدة والعبادة لله جل وعلا والالتزام بتشريعات القرآن الكريم فى الحياة اليومية وفى العلاقات الاجتماعية يعتبر ضمن الطهارة المعنوية للنفس البشرية وتزكية لها ، جاء هذا أولا لنساء النبى عليه السلام يقول تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)الأحزاب:٣٣ ، ولذلك جاء الأمر للمؤمنين يُعلمهم آداب التعامل مع بيت رسول الله عليه السلام وأفضل الطرق أدبا وطهرا ونقاء فى التعامل مع نسائه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً)الأحزاب:٥٣

ـــ كما جاء فى تشريعات الطلاق يحذر الرجال من تعطيل سبل العيش والحياة بالتآمر على نسائهم المطلقات بعد انقضاء العدة (وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)البقرة:٢٣٢

ـــ النهى عن الصلاة فى أى مسجد يتآمر أهله على الإسلام والمسلمين ويمارس فيه الشرك بالله وجاء هذا التنبيه لخاتم النبيين عليهم جميعا السلام ولنا من بعده فى نهيه عن الصلاة فى مسجد الضرار الذى بناه المنافقون للكيد للإسلام وكانوا يمارسون الكفر والشرك بالله فجاء التنبيه لخاتم النبيين ينهاه بألا يقيم فيه الصلاة ، دون الهجوم عليه أو هدمه أو محاربة من فيه (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)التوبة:١٠٨ ، ولكن الأحق أن تصلى مع رجال يحبون أن يتطهروا أى يعبدوا الله بلا شريك.

ـــ وفى غزوة بدر حين استغل الشيطان ضعف المسلمين وخوفهم حين فوجئوا بحتمية المواجهة مع المشركين فتلاعب الشيطان بعواطفهم ووسوس إليهم وزين لهم متاع الدنيا ليقنعهم بالهروب من المعركة ، وهنا موقف يحتاج من كل مؤمن أن يستعين بالله جل وعلا فاستغاث المسلمون بالله جل وعلا فأرسل عليهم الملائكة (إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ)الأنفال:١١ ، وفى شرح هذه الجزئية اسمحوا لى الاقتباس من بحص للدكتور أحمد صبحى منصور لتوضيح هذه المسألة

" ومن هنا نفهم دور الملائكة فى بدر حين فوجئ المسلمون بحتمية المواجهة مع جيش المشركين فتعرض بعض المسلمون لخوف شديد ..

لقد استغاث المسلمون بالله تعالى ربهم فأرسل الله تعالى الملائكة لتثبت المؤمنين يقول تعالى " بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) آل عمران "

إذن نزلت الملائكة فى بدر بشرى ولتطمئن قلوب المؤمنين ، أو كما يقول الله تعالى " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) الأنفال .

لقد كان للشيطان دور فى حفز المشركين للقتال أشار إليه قوله تعالى " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)الأنفال "

خرج معهم إبليس فلما رأى الملائكة هرب وكان إبليس يحاول تعكير الجو النفسى الإيمانى للمؤمنين فكان تدبير الله تعالى أسرع من كيده ، يقول تعالى " إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) الأنفال" " انتهى الاقتباس -http://www.ahl alquran.com/arabic/printpage.php?main_id=6967&doc_type=1

ــ كما جاء وصف الوحى الإلهى بأنه مُطهر (كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦))عبس ، وتكرر وصف الصحف التى يتلوها الرسول بأنها مطهرة (رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً)البينة:٢ ، وأن هذا الوحى القرآنى الطاهر المطهر لا يفهمه إلا المطهرون أى أصحاب العقائد النقية الخالصة التى لا شرك فيها ولا كفر يقول تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)الواقعة

ــ ومن عظمة القرآن وعظمة العدل الإلهى أن ربنا جل وعلا يبشر المؤمنين الذين طهـّروا عقائدهم من الشرك وعملوا الصالحات أنهم خالدون فى الجنة وكما كانوا أطهار فى عقائدهم وأفعالهم وابتعدوا عن الفحشاء والمنكر فلهم الجنة يشربون فيها الشراب المطهر (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً)الإنسان:٢١

، ولهم أيضا أزواج (مُطهـّرة) وحسب وجهة نظرى أن معنى مطهرة هنا أى مطهرة إلى الأبد حسيا أى لا تحيض ومعنويا أيضا لأن الجنة لن يكون فيها إلا أصحاب القلوب الطاهرة السليمة (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)البقرة:٢٥ ، ، وتكرر نفس المعنى فى (آل عمران:١٥ ، النساء:٥٧).

أخـيـــرا:ــ

وجهة نظرى فى عدم تكرار الآيات عن الطهارة الحسية أن النظافة أو الطهارة الحسية من الأمور البديهية أو شبه الغريزية عند الأسوياء من الناس وربنا جل وعلا أعلم بنا من أنفسنا ، ولذلك أى إنسان مؤمن طاهر العقيدة طاهر القلب لو مات بعد جماع زوجته دون أن يغتسل وهو حى فلا إثم عليه ولا عقاب له فى الآخرة سواء تم تغسيله قبل دفنه أو لا ، لكن على النقيض تماما من مات بقلب مريض ملىء بالحقد والكره والبغض وعقيدة قلبية غير نقية وغير طاهرة يشوبها الشرك

بالله فلن يغفر الله له يوم القيامة ولن ينفعه بعد موته الغسل بعد موته ، إذن انشغال الناس بالشكل والمظهر الخارجى ليس أساسا فى العقيدة وإنما الأساس فى العقيدة طهارة القلب ونقاء هذه العقيدة يكون بالتطبيق العملى بعمل الصالحات وإخراج الصدقات والبعد عن الفحشاء والسيئات.

هذا المقال وجهة نظر واجتهاد بشرى يقبل الخطأ قبل الصواب ولا أفرضه على أحد ..